مسيحيو العراق وتراجيديا المصير 2-3

شخصيات لامعة من المسيحيين لعبت دوراً بارزاً في التاريخ الوطني

كنيسة في الموصل

كنيسة تم تدميرها بعد احتلال داعش

موفق فتوحي
fatoohiaaa@seznam.cz

وقد استقبل مسيحيو بلاد الرافدين الفاتحين العرب المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين بايجابية لا بل ساعدهم على الانتصار بسبب معاناتهم ولقرون من عسف العهود الفارسية الساسانية على مدى خمس قرون وقد ساهم في صفوف جيوش الفتح الإسلامي قبائل عربية نصرانية من الحيرة و من مناطق أخرى حقدا على إجرام الفرس الساسانيين وكان العرب المسلمين الفاتحين يخيرون النصارى بين قبول الإسلام أو دفع الجزية و قد دفع أجداد مسيحيو العراق المعاصرين الجزية و احتفظوا بديانتهم و مما لا شك فيه من لم يكن له قدرة أو من لا يريد دفع الجزية قد اسلم و أنهى المشكلة .

وعلى هذا المبدأ تعايش المسيحيون مع المسلمين في عصر الخلافة الراشدية وكذلك الأموية وتأكيدا على دور المسيحيين في العهد الأموي كان شعراء بني أمية الكبار جرير والفرزدق والأخطل ثالوث الشعر في العصر الأموي وكان الأخطل وهو أعظم هذا الثالوث نصرانيا وقد تمتع أهل الكتاب أي النصارى واليهود والصابئة في العصر الأموي بوافر الحرية لقاء تأديتهم الجزية والخراج وارتبطت قضاياهم في الأمور الدينية والمدنية برؤسائهم الروحانيين ولم تطبق عليهم الشريعة الإسلامية ومع هذا التسامح لم يمنع حدوث حالات استثنائية كتلك التي أمر بها الوليد الأول 715 – 705 بقتل زعيم بني تغلب القبيلة العربية المسيحية لأنه ابا ان يعتنق الإسلام (كتاب الأغاني ص 99) وقد فرض الخليفة عمر بن عبد العزيز قيوداً صعبة على رعاياه المسيحيين إلا أن هذه القوانين لم يعمل بها طويلا حيث أمر خالد بن عبد الله العزي عامل هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي الرابع على العراق ببناء كنيسة لأمه المسيحية تتعبد بها كما انه منح النصارى واليهود حق بناء المعابد والكنائس (كتاب الأغاني ص 99) وللعلم و في العام 886 ميلادية دخلت الفلسفة الفكر الإسلامي وظهر مذهب المعتزلة والقدرية وكان ذلك خلال سنوات العهد الذهبي العباسي أي خلال خلافة هارون الرشيد وأبنائه الأمين والمأمون والمعتصم والخلافة العباسية دامت 508 من 750 ميلادية الى 1258 ميلادية وفي عهد العباسيين انتهت الخلافة العربية الإسلامية لتكون خلافة لأقوام المسلمين من كافة القوميات خاصة العربية والفارسية والتركية.

قرية صغيرة

والحقيقة إن المؤسس الحقيقي إلى الخلافة العباسية كان أبو جعفر المنصور الذي بنى مدينة بغداد سنة 758 ميلادية وقد كانت قرية صغيرة في عهد الساسانين ومعناها "عطية الله" وقيل إن الاسم من(باغ) بستان و(داد) الإله وهو أسم فارسي أو إنه أسم مركب من (بيث) مكان و(غداد) الحظيرة أي موضع الحظيرة وهي تسمية آرامية وفي نظر الكنيسة الشرقية كان تأسيس مدينة بغداد يعني أنها ستعيد مركزها التقليدي في الأرض الآرامية (بيث ماري) وكانت الأرض التي أراد الخليفة أن يبني فيها مدينته لتكون زاخرة بالأديرة وكان للرهبان دورا كبيرا في الأساطير الدائرة حول التنبؤات عن تأسيسها. شرع المنصور في عام 762 ميلادية في بناء مدينة بغداد واستغرق بنائها 4 سنوات وصرف عليها بما يعادل 18 مليون دينارا واستخدم نحو مائة الف مهندس وعامل وأهل المعرفة بالبناء وسميت بالإضافة إلى بغداد بمدينة السلام والمدينة المدورة وأكثر الحجارة التي دخلت في بنائها نزعت من أنقاض طاق كسرى وفي 7 تشرين أول سنة 775 ميلادية وتوفي المنصور وهو في طريقه إلى الحج وحفر له 100 قبر تضليلا لأعدائه لئلا يمتهنوا قبره.

ومنذ مجيء المنصور لسدة الخلافة ومرورا بهارون الرشيد وأبناءه الأمين والمأمون والمعتصم كانت الحياة الفكرية مزدهرة ومن ضمنها الدينية اذ انه وخلال تلك الحقبة الذهبية كان الجدل الفكري قائما بين أهل السنة والشيعة والمعتزلة، فظهر أبي حنيفة النعمان (توفي سنة 767 ميلادية) وابن حنبل(توفي عام 855ميلادية) ثم البخاري الذي توفي في البصرة (عام 878 ميلادية) واستنبط كل منهم طريقته الخاصة بتفسير القران والشريعة فانبثقت المذاهب الأربعة المعترف بها وغير المعترف بها كالمعتزلة والشيعة وكان اخطر هذه المذاهب هو مذهب المعتزلة الذي يؤمن بالعقل ويقول بان القرآن مكتوب وغير منزّل وكل شي في القران لا يفقهه العقل لا يعترف به و في هذه المرحلة الخطيرة من تطور الفكر الإسلامي دخلت الفلسفة بجنب علم الكلام .

وقد استفادت الفئات غير المسلمة من هذه الحرية الفكرية وكان المسيحيون يمتازون في ذلك الوقت بمستوى ثقافي ملحوظ وكانوا من أهل العلوم والحرف وحسن التكلم باللغات غير العربية كالسريانية والآرامية واللاتينية وكان منهم والفلاسفة والأطباء والفلكيين.ودخلت كنيسة المشرق عصرا جديدا بمجئ العباسيين للحكم وقد استعان الخلفاء والأمراء المسلمون بأبناء هذه الكنيسة ويعتبر المؤرخون المسيحيون بان العصر الذهبي العباسي كان عصرا ذهبيا لإتباع هذه الكنيسة الذي كان من احد أهم أدوارهم هو نقل وتعريف الثقافة والفلسفة الإغريقية والعلوم الغربية إلى المجتمع العباسي آنذاك و يقول المسعودي في "مروج الذهب" جزء 3 صفحة 379 جمع البرامكة حولهم العديد من المترجمين النصارى وفي عهدهم أي البرامكة تأسست خزانة الحكمة التي أصبحت في عهد المأمون نواة لأكاديمية الترجمة التي عرفت بدار الحكمة.

وكان أشهر أطباء العهد العباسي جبريل بن بختيشوع وماسويه الذي عالج هارون الرشيد من مرضه وأصبح أول مدير لأول مستشفى في بغداد وصار ابنه يوحنا ماسويه (أبو زكريا) رئيس المترجمين في عهد المأمون) وسعى الرشيد لجمع المخطوطات وشرائها من المنطقة البيزنطية وكان للمسيحيين الدور البارز في شراء هذه المخطوطات وترجمتها إلى العربية وكان أشهر المترجمين هو حنين بن اسحق (873 -810) م وهو أهم من نقل العلوم الإغريقية إلى العربية .

وللعلم كان الطب في بلاد مابين النهرين يرقى إلى عهود موغلة في القدم فقد اهتم به السومريون والبابليون والأشوريون وازدهر الطب في العهد العباسي وفتحت وأسست المستشفيات وكانت كتب جالينوس الإغريقي تشكل أساسا للمنهج الطبي وقد ترجم حنين بن اسحق الكثير من الكتب الطبية من السريانية إلى العربية في دار الحكمة وكانت شهرة الطب المسيحي المنبثق من مدرسة جند بسابور من السعه بحيث أصبح عامة الناس تعتقد بان المسلم ليس بإمكانه أن يصبح طبيبا ماهرا وهذا ما قاله الجاحظ في كتابه "البخلاء" (سأل احدهم الطبيب المسلم اسعد بن جاني هذه السنة وباه والأمراض متفشية وأنت عالم ولك بيان ومعرفة فمن أين يأتي هذا الوباء ولا تستطيع إيقافه . قال: واحدة فاني عندهم مسلم وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب لا بل قبل أن اخلق إن المسلمين لا يفلحون بالطب و اسمي اسعد وكان ينبغي إن يكون صليبا....)

العصر الذهبي

وكانت سلالة جرجس بن جبريل و ابنه بختيشوع بن جرجس وأولادة وأحفاده العشرة أشهر أطباء العصر الذهبي العباسي إضافة إلى أطباء كثر لا يسمح المجال لذكر أسمائهم ولأبد من الإشارة إلى أن المسيحيون في العهد العباسي كانوا أيضا في مد وجزر ولعل اخطر جزرا عايشوه هو عهد الخليفة المتوكل وهو الخليفة العباسي العاشر (861 – 747 م) وكان سنيا متعصبا وفي سنة 850 ميلادية اصدر أمرا بهدم ضريح الحسين في كربلاء ثم أقام قاضيا سنيا ومنع دراسة علم الكلام وتعليمه وقد اشتهر بموجات غضبه التي كانت تنصب على المسيحيين والمسلمين ولقي أهل الذمة منه الكثير من الظلم والأذى ويقول المسعودي في مروج الذهب بان الخليفة المتوكل اصدر أمرا بتأثير من المعمم الفتح بن خاقان التركي الأصل من شقين يقضي الأول بمعاقبة المسيحي والذمي الذي يخرق العهود إذا تهجم بالأقوال على المسلمين أو على القرآن أو على النبي محمد ومارس أي ظلم على أي مسلم سواءً عليه كشخص أو على ممتلكاته أو أمواله وممارسة أي صلة بامرأة مسلمة ولا فرق إن كان للزواج أو للفجور ومساعدة أعداء المسلمين أما الثاني فهو منع قرع النواقيس وعدم عرض الخمور والخنازير والصلبان أمام الأنظار ومنع ركوب الخيل واستمال السرج إلى ركوب البغال والحمير ومنع استخدام أسماء وألقاب إسلامية.ونتيجة لهذه القوانين اعتنق الإسلام الكثير من المسيحيين وغيرهم من أهل الذمة تخلصا من الظلم والتعسف وكانت هذه الأحوال مؤشرا إلى بدايات السقوط إلى الخلافة العباسية فقد كان الخلاف قائما بين العرب المسلمين و غير العرب المسلمين وكان يطلق عليهم "الشعوبيين" و"أهل الذمة" وكان العصبية القبيلة متأصلة في نفوس العرب، وكان هناك صراعا بين الشمال والجنوب ولم يكن هناك انسجاما ولو بالحد الأدنى بين مكونات المجتمع العباسي كان هنالك صراعا بين الفرس والأتراك الطورانيين والبربر الحاميين والعرب الساميين وظهر ضمن الدين الإسلامي نفسه نزاعات طائفية أدت إلى تمزيق الأواصر العامة التي تجمعهم ومن هذه النزاعات كان بروز الشيعة والقرامطة وجماعة الحشاشين واجتاحت أراضي الإمبراطورية العباسية ثورات مثل ثور الزنج والثورة المزدكية ذات الطابع الاجتماعي وقد سقطت بغداد في عام 1258 ميلادية بعهد الخليفة المستعصم وبعد دخول هولاكو بغداد وخسر الخليفة المستعصم المعركة الأساسية وحاول أن يصل إلى حل سلمي بعد فوات الأوان فأرسل وزيره ابن العلقمي مع رئيس الطائفة المسيحية النسطورية للمفاوضة والصلح ولعل سبب اختياره لرئيس الطائفة النسطورية هو إن زوجة هولاكو كانت مسيحية وتدعى دقوس خاتون إلا إن هولاكو رفض مقابلتهم وأمر بانتهاك مدينة بغداد مما اضطر الخليفة المستعصم إلى تسليم نفسه إلى هولاكو دون قيد أو شرط ولكن هولاكو أمر بقتل الخليفة ومن استسلم معه.

وكان هولاكو وثنيا و لكن نكاية بالإسلام و ارضاءً لزوجته المسيحية وبدوافع سياسية وأمنية اظهر بعض العطف على المسيحيين واليهود وبالرغم من حماية زوجة هولاكو لمسيحيي العراق في ذلك الزمان إلا أنهم لم يكونوا في وضع مستقر بل غالبا ما شاطرو إخوانهم المسلمين بنفس المصير وتعرضوا إلى القتل والنهب من قبل السلطات المغولية.

واستمر حال المسيحيين في العهد العثماني بين مد وجز أيضا وكان الظلم يمارس على كل رعايا السلطنة العثمانية وقد قام السلطان مراد الرابع (1640_ 1623) بإصلاح واسع النطاق و كان من القرارات المثيرة غلق المقاهي ومنع التدخين وإغلاق أماكن شرب وبيع الخمور .وأصدر فرمانا خاصا يقضي على الفئات غير المسلمة بلبس الغبار وهو لباس خاص يميز الذمي عن المسلم وخلال هذه القرون الطويلة كانت الأقلية المسيحية بمختلف كنائسها تبحث دوما عن الطرق الكفيلة التي تحفظ كيانها واستمرارية حيويتها ونشاطها وقد تعرضت لكثير من الانتهاكات من جراء التغيرات المستمرة على الأنظمة السياسية المسيحيون بعد تشكيل الدولة العراقية الحديثة عام 1921.

كان من نتائج الحرب العالمية الأولى سقوط وتفكك الإمبراطورية العثمانية ووقوع الولايات العراقية الثلاثة تحت سيطرة الإمبراطورية البريطانية التي كانت متحالفة مع الشريف علي بن الحسين (شريف مكة) الذي تعاون مع الإمبراطورية على وعد منها بإقامة الدولة العربية الموحدة ولكن الأمور سارت وفق المصالح البريطانية وحدث ما حدث وليس هو موضوعنا في هذا المجال.وكانت نتيجة لما حدث هو التوليفة العراقية الحالية التي تحققت بعد إرهاصات دامت ثمانية سنوات (1925 – 1917) من انتهاء الحرب العالمية الأولى وأربعة سنوات من تأسيس الدولة العراقية الحديثة (عام 1925) الذي وصفها السياسي البريطاني الشهير ونستون تشرشل حيث قال " ولد العراق في ساعة مجنونة" ويقول د. عبد الخالق حسين في مقاله الذي نشرته صحيفة عراق الغد الالكترونية الموسومة "العراق والانتخابات الأمريكية": إن الدولة العراقية الحديثة بنيت أساسا على التمييز الطائفي والعرقي امتداداً لنهج الحكم العثماني وكان عالم الإجتماع العراقي علي الوردي قد نبّه وحذر مراراً منذ الخمسينيات من القرن الماضي بان هناك بركانا تحت السطح سينفجر يوما ما ، ما لم تتخذ الحكومات إجراءات ووطنية حقيقية مناسبة لتلافي الكارثة وقال نصا في كتابه " دراسة في طبيعة المجتمع العراقي" (ص 383 -382) ما يلي : إن الشعب العراقي منشق على نفسه وفيه من الصراع القبلي والطائفي والقومي أكثر من أي شعب عربي آخر باستثناء لبنان وليس هناك طريقة لعلاج هذا الانشقاق أجدى من تطبيق النظام الديمقراطي فيه حيث يتاح لكل فئة منه أن تشارك في الحكم وعلى أهل العراق أن يعتبروا بتجاربهم الماضية وهذا هو أوان الاعتبار فهل من يسمع" .لقد كان مسيحيو العراق يتبنون إستراتيجيتين وواضحتين الأولى هي إستراتيجية الكنيسة أي السلطة الدينية بمختلف طوائفها وهذه الإستراتيجية منطلقة من الحكمة التي قالها المسيح قبل ألفي عام ونيّف وهي (أعطي ما لقيصر لقيصر وما لـ لله لـ لله) أي معناه مجاراة الحكومة الرسمية ومحاولة الحصول على ما يمكن عليه من مكاسب خدمة لإتباعها ومريديها وعدم التدخل في الشأن السياسي، بل النشاط في مجال تقديم الخدمة الاجتماعية والمساعدات الإنسانية للناس مهما كان الانتماء الديني والقومي .أما الإستراتيجية الثانية فهي إستراتيجية المسيحيين كمواطنين عراقيين أصيلين ومخلصين لبلدهم وتتمثل هذه الإستراتيجية برفع جميع الحواجز بينهم وبين إخوانهم في الوطن، سواءً كانوا على دينهم أو طائفتهم أو من غيرها والمساهمة الجادة في النشاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يخدم تقدم الوطن و عزته وتسخير إمكانياتهم لخدمة البلد، وقد ثمن هذا الدور المؤرخ والعالم العراقي سيّار الجميل في مقاله المهم الموسوم وقفة تاريخية عن دور المسيحيين العراقيين الوطني والحضاري ولحسن الحظ إن الموجة الدينية السياسية الضيقة السائدة في يومنا هذا لم تغري أي مسيحي لإقامة كيانات سياسية طائفية تستغل الدين والطائفة لتحقيق مكاسب سياسية كما هي الموضة السائدة هذه الأيام، بل إن أغلبية العاملين في الحقل السياسي من المسيحيين كانوا ولا يزالون يعملون في إطار الأحزاب الوطنية العلمانية.

ولقد ذكر الجميل في مقاله المشار إليه أعلاه أسماء لامعة من المسيحيين لعبت دورا في تاريخ العراق السياسي والاجتماعي والاقتصادي مثل الياس بن حنا الموصلي الذي انطق من بغداد إلى روما وإلى أمريكا الشمالية وكان أول رحالة من الشرق يصل العالم الجديد وكذلك العالم يوسف عتيشة الموصلي المولد عام 1599والرحالة خضر بن الياس الموصلي (1755 – 1679) الذي كتب رحلة من الموصل إلى روما وبسبب تواجد البعثات التبشيرية الفرنسية تحول الكثير من مسيحيي العراق إلى المذهب الكاثوليكي وأعلنوا اتحادهم بكنيسة روما المركزية رسميا وبهذا الأعلام أصبح بابا روما هو الحبر الأعظم إلى أغلبية مسيحيين العراق.

> للعلم كان الطب في بلاد مابين النهرين يرقى إلى عهود موغلة في القدم فقد اهتم به السومريون والبابليون والأشوريون وازدهر الطب في العهد العباسي وفتحت وأسست المستشفيات وكانت كتب جالينوس الإغريقي تشكل أساسا للمنهج الطبي وقد ترجم حنين بن اسحق الكثير من الكتب الطبية من السريانية إلى العربية في دار الحكمة وكانت شهرة الطب المسيحي المنبثق من مدرسة جند بسابور من السعه بحيث أصبح عامة الناس تعتقد بان المسلم ليس بإمكانه أن يصبح طبيبا ماهرا وهذا ما قاله الجاحظ في كتابه "البخلاء" (سأل احدهم الطبيب المسلم اسعد بن جاني هذه السنة وباه والأمراض متفشية وأنت عالم ولك بيان ومعرفة فمن أين يأتي هذا الوباء ولا تستطيع إيقافه . قال: واحدة فاني عندهم مسلم وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب لا بل قبل أن اخلق إن المسلمين لا يفلحون بالطب و اسمي اسعد وكان ينبغي إن يكون صليبا....)

الهجوم على ارامكو.. لماذا لم يتم الرد ؟

في 14 ايلول الماضي تم مهاجمة منشآت النفط لشركة ارامكو السعودية، مما ادى الى توقف نصف انتاج النفط السعودي. وقد تبنى الحوثيون في اليمن هذه العملية.

الا ان شكوكا قوية قد جاءت من مصادر سياسية واستراتيجية اقليمية وعالمية استبعدت اي احتمال من ان هذه الضربة قد جاءت من اليمن، لعدة اسباب لعل اهمها بعد المسافة والتقنيات العالية لمثل هذا الهجوم . وبالتالي حامت الشبهات على ايران بانها هي التي نفذت هذه الضربات.

في وقت نفى فيه الجانب الايراني تورطه فيها يلاحظ المراقبون ان ايران هي التي تسعى للتصعيد العسكري، حيث انها ليست المرة الاولى التي تقوم بمثل هذه الاعمال، فقد شهدنا عدة تحرشات ايرانية في مضيق هرمز عبر مهاجمة السفن، او اسقاط طائرة الدرون الامريكية ذات التقنيات العالية، وكذلك احتجاز ناقلة النفط البريطانية وغيرها من الناقلات في الخليج العربي.. ولذلك يبدو ان ايران تحاول من هذا التصعيد التخلص من العقوبات الامريكية التي ارهقتها.

وهي بذلك لاتريد اعادة تجربة العراق عليها.. ويتوقع خبراء ان يستمر النظام الايراني بهذه التحرشات بل ويعززها على السعودية و غيرها في المنطقة، طالما استمرت العقوبات الامريكية عليها ان مصلحة الولايات المتحدة لاتكمن في مساعدة السعودية او الوقوف معها عسكريا في هذا الظرف، وهي تنتظر مفعول العقوبات الاقتصادية على ايران.

كما انها لاتريد ابعاد ايران نهائيا كلاعب اساسي في المنطقة لكونها مازالت تحقق التوازن والاستقرار على حسب وجهة النظر الامريكية.

اضافة الى انها قد جعلت من ايران العدو الاول للعرب بدل العدو الاسرائيلي.. ولذلك فان الولايات المتحدة سعت للحصول على مساندة دولية لجهودها تجاه ايران لتحقيق اكبر ضغط عليها، وقد حققت بعض النجاح في هذا الصدد بعد ان اعلن كل من الرئيس الفرنسي ماكرون.

والمستشارة الالمانية ميركل ورئيس الوزراء البريطاني جونسون مسؤولية ايران عن هجمات ارامكو السعودية خلال اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة .

وهذا يعد تحولا كبيرا في السياسة الاوروبية من مسالة المواجهة مع ايران. وهم قد دعوا بهذه المناسبة كافة الاطراف للتهدئة والجلوس على طاولة المفاوضات لحل المسائل العالقة.

كما جرت الدعوة لمفاوضات جديدة للاتفاق النووي الذي الغته الولايات المتحدة الامريكية من طرف واحد ان ضرب ارامكو رسالة ايرانية من ان منعها من تصدير وبيع نفطها لن يقتصر على ايران وحدها، وان دول اخرى ستتضرر من هذا القرار، ويتوجب الحاق افدح الاضرار بامدادات النفط العالمية، والغربية منها على وجه الخصوص ، اضافة الى مواجهة امريكا وحلفائها بقوة، في محاولة لرفع العقوبات النفطية التي اثقلت كاهها امريكا تعلم جيدا ان خياراتها محدودة جدا في مواجهة ايران.

بعد ضرب منشآت ارامكو السعودية. كما ان السعودية لاتريد الدخول لوحدها في مواجهة مع ايران رغم ترسانتها العسكرية من الطائرات الحديثة والمعدات العسكرية المتطورة الاخرى والسعودية تدرك ان اي رد عسكري على ايران حتى لو كان جزئيا سيشعل المنطقة في حرب اقليمية مدمرة.

فايران لديها اذرع عسكرية ممتدة من لبنان وسوريا الى العراق واليمن..كما ان تدخل السعودية في حرب اليمن لايمكنها من فتح جبهة اقليمية جديدة وواسعة هذا بالاضافة الى ان المملكة العربية السعودية تعلم جيدا انها ستكون المرشحة القادمة لتطويقها وتهديدها، بعد انتهاء الربيع العربي وبدء الصراع الامريكي الايراني (وقد سبق واكدنا ذلك في مقالة سابقة) ، ولذلك فهي حذرة جدا من اي مواجهة عسكرية، وانها تفضل كما هي اوروبا حل النزاع الايراني الامريكي وكل المسائل الاقليمية المعلقة بالطرق الدبلوماسية وعدم التورط في اي حرب قد تبدأ بخطأ ما ولكنها لاتنتهي الا بالخراب والدمار وهذا لايصب في مصلحة اي دولة من دول المنطقة، ولا في العالم.

ادهم ابراهيم
النجف

من هنا يبدأ الاصلاح

في مجتمع مليء بالمكونات المختلفة كالاديان، والطوائف، والالوان، واللغات ،والاعراق، لا تنفع الكثير من السياسات في السيطرة عليه ونزع فتيل العنف والاحتقان من مكوناته الا بوجود نظام سياسي صلب يعمل على احلال العدل والسلام كأهم أهدافه ، ليبني أمة مسالمة متحضرة يشعر جميع أفرادها بالمساواة .

لقد جربنا مؤخراً نظرية العنف الطائفي بين ابناء المجتمع العراقي فما كانت النتائج ياترى ؟

أكانت نتائجها حسنة وآتت ثمارها طائفة دون غيرها ؟

في الحقيقة كنا في مأزق كبير بين افراد مجتمعنا ، لأننا خسرنا الانسان والعرض والشرف والكرامة وكل القيم العليا التي كانت لنا ، وكانت خسائرنا هذه من اجل لا شيء ، ولم نأسف لذلك !

اذ فقدنا كلما يدل على احساسنا بالخسارة ، وعلى اننا مجتمع حي يستطيع ان يبكي على أرضه المحتلة وفردسه المفقود ، لأننامنقادون دوماً .. برأيي لو اننا اطلعنا على تاريخ العراق بين العصرين العثماني والصفوي لوجدنا ان المحتلين ركبوا لنا بطارية النعرات الطائفية منذ تلك العصور لنتحرك بها مثل الآلات ،ولم نفلح حينها برفض تلك البطارية بقدر ما افلحوا بتمزيقنا، ولاتعضنا الآن من اخطائنا السابقة ولم نستقبل البطارية البغيضة ذاتها بين الاحتلالين (الامريكي والفارسي) ولم نخسر كل تلك الخسائر ، عموماً .. فقد خسرنا الآن وبقي السؤال الأهم لفهم سياسة بلادنا تجاهنا وسياستنا تجاه الوطن، وهو كيف لنا ان نبدأ من جديد ؟

ومن اين تكون البداية ؟

في الحقيقة لا تنفع مع المجتمعات غير المتجانسة الا نظرية المواطنة حيث يشعر من خلالها كل فرد في المجتمع انه مهم بالنسبة لبلاده ولا يكون ذلك ابداً ، الى أن يشعر الفرد بأهمية بلاده بالنسبة له في البدء ، ويعمل على ذلك من خلال رفض كل ما يهدد مصالحها ، والمطالبة بكل ما يساهم بنشر المساواة بين ابناءها حتى يكون ذلك الشعور راسخاً في اعماق الفرد فلا يُقَدِّم على بلاده شيء حتى نفسه وابناءه وبالتالي لا يمكن للبلاد ارضاً وشعباً ان تفرط بمواطن مثل هذا ، وهنا تكمن البداية لمن أراد بناء الانسان في دولته أو لبناء دولة الانسان .

حيدر علي الفتلاوي
بغداد